الاجرامي تدبيرا مشتركا للطرفين سوية، من خلال التعاون فيما بينهما، الذي يكاد يصبح «تقليدا».

كما أن هذا التواطؤ لا يستهدف الفلسطينيين فقط، بل أيضا لبنان نفسه، بلدا وسيادة وعروبة. ففي الوقت الذي يئن فيه لبنان تحت نير الاحتلال الاسرائيلي، ويحاول تخليص نفسه من براثنه، علينا ان نتذكر جيدا أن الاسرائيليين لم يدخلوا إلى لبنان ويحتلوا مساحات واسعة منه صدفة، بل ــ ببساطة ــ جيء بهم إلى البلد، بتشجيع وتواطؤ وتحت تأثير نصائح دوائر واشخاص ذوي نفوذ، لاعتقادهم أنهم بهذه الوسيلة «ينقذون» لبنان من... «الغرباء»، أي الفلسطينيين والسوريين. فكانوا بذلك كمن يستجير من الرمضاء بالنار.

* * *

إن الاعتداء على مركز الأبحاث ليس إلا حلقة في مخطط الابادة للحركة الوطنية الفلسطينية، التي اكتسبت محاولات تنفيذه حدة ووضوحا لا مثيل لهما، منذ صعد الليكود إلى الحكم في الكيان الصهيوني، برئاسة الثلاثي الفاشي الغريق في الاجرام، مناحيم بيغن واريئيل شارون واسحق شامير، ولكل منهم سجله الدموي ضد الشعب الفلسطيني، منذ منتصف الأربعينات، وحتى اليوم. ومنذ سنة ونصف السنة على الأقل، تبلور هذا المخطط في السعي إلى تدمير «البنية التحتية» لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، تمهيدا لالغائها، وبالتالي شطب الفلسطينيين كعامل سياسي مستقل في المنطقة، بحيث تمهد الطريق أمام اسرائيل لفرض الحل الذي ترتئيه لما يحلو للعديد من سياسييها تسميته «المشكلة» الفلسطينية؛ وذلك؛ باختصار، بالتعامل مع الفلسطينيين كمجرد سكان أو لاجئين، يفترض أن يتم توطينهم في البلدان العربية المختلفة، تمهيدا لتذويبهم، دون أن تترتب على ذلك أية التزامات سياسية.

وفي هذا الاطار، وسعيا لتحقيق هذه الاهداف، شنت اسرائيل في صيف العام الماضي حربها على منظمة التحرير الفلسطينية، والتجمعات الفلسطينية في لبنان، التي أسفرت عن خروج المقاتلين الفلسطينيين من جنوب البلد ومن بيروت. إلا أن النصر الاسرائيلي لم يكن كاملا، إذ أن نتائج الحرب لم تحقق كافة المطامع الاسرائيلية. فمنظمة التحرير الفلسطينية، وكافة مؤسساتها، وإن انتقلت إلى مواقع وأماكن أخرى، بقيت قائمة. أما القضية الفلسطينية، فقد ازدادت زخما وأهمية على ما كانت عليه، لدى العديد من المحافل الدولية والعربية. ولذلك كان لا بد من الاستمرار في المخطط الاجرامي، الذي اتخذ بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت طابع الاعتداءات المتكررة على المدنيين الفلسطينيين في أماكن تجمعاتهم الرئيسية في لبنان، وذلك باعتقال الآلاف منهم من قبل قوات الغزو الاسرائيلي، وخطف المئات على الحواجز الانعزالية، دون أن يعرف مصيرهم، وتضييق الخناق عليهم من قبل هذه الجهة أو تلك. وكل ذلك لحمل من بقي منهم في لبنان على الرحيل، والامعان في تشتيتهم. وفي هذا السياق، جاءت عملية الاعتداء على مركز الأبحاث، ثم محاولة اغتيال السيد توفيق الصفدي، رئيس اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان.